

أضواء البيان

. @ 534

وما تضمنته هذه الآية الكريمة من كونه تعالى . لو شاء لجعل الماء غير صالح للشراب ،
جاء معناه في آيات أخر كقوله تعالى { قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْدَجَ مَآؤُكُمْ
غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيَكُمُ بِمَآءٍ مَّعِينٍ } وقوله تعالى { وَأَنْزَلْنَا مِنَ
السَّمَاءِ مَآءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ
لَقَادِرُونَ } لأن الذهاب بالماء وجعله غوراً لم يصل إليه وجعله أجاجاً ، كل ذلك في
المعنى سواء بجامع عدم تأتي شرب الماء ، وهذه الآيات المذكورة تدل على شدة حاجة الخلق
إلى خالقهم كما ترى . وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة { أَلَمْ نَزَلْنَاكُمْ مِنْ
مِنْ الْمُزْنِ } يدل على أن جميع الماء الساكن في الأرض النابع من العيون والآبار ونحو
ذلك ، أن أصله كله نازل من المزن ، وأن الله أسكنه في الأرض وخزنه فيها لخلقه . .
وهذا المعنى الذي دلت عليه هذه الآية جاء موضحاً في آيات أخر كقوله تعالى {
وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَآءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَاهُ فِي الْأَرْضِ } وقوله
تعالى { أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَآءً فَسَلَكَهُ
يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ } وقد قدمنا هذا في سورة الحجر في الكلام على قوله تعالى {
فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ
بِخَازِنِينَ } وفي سورة سبأ في الكلام على قوله تعالى { يَعْزِلُ مَا يَلَاحِجُ فِي الْأَرْضِ
رُضًى وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا } وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة { فَلَا وَلاَ
تَشْكُرُونَ } فلولا بمعنى هلا ، وهي حرف تحضيض ، وهو الطلب بحث وحض والمعنى أنهم يطلب
منهم شكر هذا المنعم العظيم بحث وحض . .
واعلم أن الشكر يطلق من العبد لربه ومن الرب لعبده . .
فشكر العبد لربه ، ينحصر معناه في استعماله جميع نعمه فيما يرضيه تعالى ، فشكر نعمة
العين ألا ينظر بها إلا ما يرضي من خلقها ، وهكذا في جميع الجوارح ، وشكر نعمة المال أن
يقيم فيه أوامر ربه ويكون مع ذلك شاكر القلب واللسان ، وشكر العبد لربه جاء في آيات
كثيرة كقوله تعالى هنا : { فَلَا وَلاَ تَشْكُرُونَ } وقوله تعالى { وَاشْكُرُوا لِي
وَلَا تَكْفُرُونِ } والآيات بمثل ذلك كثيرة معلومة . .
وأما شكر الرب لعبده فهو أن يثيبه الثواب الجزيل من عمله القليل ، ومنه قوله تعالى
{ وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ } وقوله تعالى { إِنَّ

